ABSTRACT

Elision (Hadhf) in Arabic language is the omission of a part of a sentence or even a whole sentence due to a clue which indicates it. Elision is a kind of rhetorical brevity and it is a very significant chapter of rhetorical discussions. It leaves a deep impression on the readers or listeners from the perspective of meaning and sense of the statement. Looking from the angle of its elements, it is necessary for the speaker or the writer to know its essentials, objectives and types to make the speech comprehensive. If these three things are not regarded, the speech becomes worthless or rubbish. Consequently, the speech loses its beauty, attraction, and delicacy. The Holy Qur'an is the divine Speech whose similitude cannot be produced. The rhetorical elision in it is one dimension of its inimitability, and the contexts of its elision are many. No Muslim can disregard the understanding of elision if he wants to understand the Qur'an truly. It does not matter whether he is a commentator or a jurist etc. But how does the rhetorical elision affect the reader of the Qur'an in his true understanding of the Qur'an? And what is the relationship between rhetorical elision and the inimitability of the Qur'an? This paper explores for the answer of these questions.

الحذف البلاغي في اللغة العربية وصلته بإعجاز القرآن: دراسة تطبيقية

د. آصف محمود*

الحذف في اللغة العربية نوع من نوعي الإيجاز البلاغي و مبحث بلاغي ذو أهمية بالغة وله تأثير عميق على النفوس من جهة المعنى. وأما من جهة عناصره فيجب على المتكلم أن يعرف أدلته و أغراضه وأقسامه ليكون كلامه جامعا و مانعا. وإذا لم يرع هذه العناصر الثلاثة عامة و أدلة الحذف خاصة لصار كلامه إلى شئ مُسْتَرَكٍ مُسْتَرذَل ولزال عن الكلامالطلاّوة والحسن والرّقة.فلابدّ من الدّلالة على ذلك المحذوف، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه يكون لَغواً من الحديث، ولا يجوز الإعتماد عليه، و إذا دارَ الأمر بين الحذف وعدمه، كان الحمل على حذفه أولى مالايُخِلّ بالمعنى، ولو ظَهَرالمحذوف لنقص أثر الكلام و نزل عن علو بلاغته.

والقرآن الحكيم كلام معجز والحذف البلاغي فيه جهة من جهات إعجازه لأن مواضع الحذف فيه كثيرة حتى حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه زُهَاءُ ألف موضع[1] وكذلكذُكرمواضعالحذففيالقرآنعلىترتيبالسوروالآياتأكثر منألفينوثلاثمائةوخمسينموضعاً[2]، ولا يستغني المسلم من رعاية الحذففي فهم القرآن الكريم في حال من الأحوال سواء كان مفسرا أو مجتهدا أوغيرهما.

فالحذف في اللغة العربية إسقاط جزء الكلامأو كله بوجود القرينة الدالة على المحذوفومن البلغاء من عنى بالحذف عناية خاصة و شبّهه بالسحر في الأثر على السامع المتذوق فيقول:"إن الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر شبيه بالسحر و ذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة و تجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق و أتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبين[3]". والبعض الآخر يجعله لونا من شجاعة العربية[4].

---

* محاضر اللغة العربية، كلية ايف جي، ايج، اسلام آباد

ولكن كيف يؤثر الحذف البلاغي في فهم القرآن فهما صحيحا و ما صلته بإعجاز القرآن الكريم؟ فهذا المقال يتناول بالبحث هذا السوأل اختصارا فيما يأتي، ولكنه من المناسب أن نرى معنى الحذف و مفهومه في اللغة العربية.

الحذف لغة:الحذف مصدر حذف يحذف كضرب يضرب وله معان عديدة، منها: القطف والقطع والرمي والضرب والإسقاط والتخفيف.

قال الفراهيدي: "الحذف: قطف الشئ من الطرف كما يحذف طرف ذنب الشاة [ج]". و قال ابن منظور: "حذف الشئي يحذفه حذفا: قطعه من طرفه، الحَجّام يحذف الشعر، من ذلک [ح]". وقيل: "حذف الشيء إسقاطه، ومنه حذفت من شعري ومن ذنب الدابة، أخذت منه[ح] ". وهناک معان كثيرة أخرى للحذف لاداعي إلى ذكرها هنا، ومن بين كثرة المعاني للحذف فإن أقربَها إلى ما يراد به في هذا الموضوع هو الإسقاط و القطع، و قد يقال: حذف الخطيب الكلام، أي:هذبه وصفاه من الفضول ومنه حذف الشعر إذ أخذت منه[ث].

الحذف إصطلاحا: إننا نجد تعريفات كثيرة للحذف في كتب البلاغة و المعاجم ولكن نذكر بعضها بالإيجاز كما يلي:

أ: لقد عرّف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني الحذف بقوله: " هو إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام [خ]".

ب: وأما ضياء الدين بن الأثير فإنه عرّف الحذف بقوله: " هو مايحذف منه أو الجملة، لدلالة فحوى الكلام على المحذوف[ذ]".

ج: وقال الزركشيفي تعريف الحذف : " إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل[ض]".

فاتضح لنا من هذه التعريفات أن المراد بالحذف إسقاط جزء الكلامأو كله بوجود القرينة الدالة على المحذوف، فتكثر المعاني في إيجاز الحذف مقابلالألفاظ، وإن لم توجد

قرينة على المحذوف فذلك الإيجاز إخلال في التعبير غير مقبول في الكلام كما في قول الشاعر:

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ---- و مقتلهم عند الوغي كان إعذارا

أي: هم يقتلون نفوسهم في السلم،و لكن فحوى الكلام لايدل عليه.

وقال ابن الأثير في بيان أهميّة القرينة في الحذف: "الأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدلّ على المحذوف فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب".

أدلة الحذف

منالمعلوم أنه لابد للحذف مندليل يدل عليه، والدليل الأكبر في هذا الصدد هو العقل. العقل دائما يدل على الجزء المفقود من الكلام فأما المحذوف، فتعينه مبني على أدلة كثيرة ومنها كما يلي:

الدليل الحالي: وقد تكون الحالة المشاهدة دليلاً على المحذوف نحو قوله تعالى:﴿وَقِيلَلِلَّذِينَاتَّقَوْامَاذَاأَنْزَلَرَبُّكُمْقَالُواخَيْرًا﴾أي: أنزل خيراً، فحذف من الآية الفعلُ الماضي لدلالة الحالة المشاهدة عليه.

الدليل الشرعي: تارة لا يمكن إدراك المحذوف بالعقل وحده و إن كان العقل يدل على الحذفمن غير دلالةعلى تعيينه و يُستَفَادُ في تعيين المحذوف من دليل شرعي كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْعَلَيْكُمُالْمَيْتَةُ﴾ فحذف المضاف تقديره: تناولها.فَعُلم بالعقل حذف شئ ، وأما تعينه، وهو التناول، فمُستَفَادٌ مِن الشرع.

الدليل العقلي:وتارة يدل العقل وحده على الحذف وعلى تعيين المحذوف،كما جا في القرآن:﴿وَجَاءَرَبُّكَوَالْمَلَكُصَفًّاصَفًّا﴾،أي:أمره،فالعقلدلاِستحالة مَجيء الرب جَلَّ

وعلا،لأنه من سمات الحادث وهو منزه عن التحيز والجسميةوالعقل أيضاً دال على المحذوف بتعينه وهو أمره[٥٤].

دلالة العادة:العادةتدل على تعيين المحذوف أحيانا فقطوتارةتدل علي الحذف وتعيين المحذوف معاً كما قال الله تعالى حكاية عن المنافقين المتخلفين عن غزوة أحد:﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾،فظاهر الكلام يدل أنهم لا يعرفون الحرب والقتال،ولكن حالهم والمعروف من عاداتهم في القتال أنهم كانوا أخبر الناس بالقتال وأكثر خبرة بالحرب،فلا بُدّ إذًا أن يكون في الكلام حذف دل عليه حالهم وعادتهم فالمراد:مكانا صالحاً للقتال.

دلالة الشروع في الفعل: أحيانا يدل العقل على الحذف ويدل الشروع في الفعل على تعيين المحذوف وهو كما نقول لمن جاء إلينا: "أهلاوسهلاً "أي:جئت أهلاً و حللت مكانا سهلاً[٥٥].فقواعد اللغة وهي قواعد عقلية تدل على أن يكون العامل محذوفا فأما تقدير المحذوف فيدل عليه الشروع في الترحيب بالضيف.

دلالة اقتران الكلام بالفعل: أحيانا العقل يدل على الحذف، و اقتران الكلام بالفعل على تعيين المحذوف كما في قول العرب عند ما يَزْفُفْنَ العروس: "باليمن والبركة "[٥٦]، فالعقل يدل على حذف متعلق الجار والمجرور واقتران العبارة بالإعراس فِعْلا يدل على تعيين المحذوف أي: أعرست باليمن والبركة.

دلالة التصريح به في مقام آخر: قد يكون التصريح بالمحذوف في موضع آخر دليلاً على تعيين المحذوف في موضعغيره وعدّه السيوطي من أقوى الدلائل[٥٧]، وجاء باستشهاد قرآني عليه وهو كما في قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ[٥٨]﴾،أي: من عندالله، و يدل على هذا التعيين قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ[٥٩]﴾،فقد صَرّحَت الآية بذكر المحذوففي هذا المقام صراحة ووضوحا حتى لاتبقى حاجة إلى غيره في تعيين المحذوف.

أغراض الحذف

إن في أغراض الحذف أنواع كثيرة منها:

الاختصار والاحتراز: قد يُسبّبُ الحذفَ مجردُ الإختصار والإحتراز عن العبث بناء على الظاهر لدلالة القرينة عليه نحو قول القائل: "الهلالُ والله "، فتقديره: هذا﴿، فحذف المبتدأ و إن كان ركنا من الكلام استغناء عنه بقرينة شهادة الحال ولو ذُكر لكان عبثًا.

التنبيه: وقد يُحذَف تنبيهاً على تقاصر الزمان عن أن يأتي بالمحذوف ولو اشتغل بذكر المحذوف لَيُفضى إلى تفويت المهّم، وهذا يُستَفاد من باب التحذير والإغراء،كمافي قوله تعالى: ﴿ نَاقَةَاللَّهِوَسُقْيَاهَا﴾، ففي هذه الآية اِجتمع التحذير والإغراء، و أما الأول فتقديره: ذروا ناقة الله، أو احذرواعقرهاوأما الثاني، فتقديره: الزموا سُقْيَاها﴿.

التفخيم والإعظام: من أغراض الحذف التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام. وهو إذا يكون في تعدادالمحذوف طول وسآمة فَيُحسن الحذف لقوة الدلالة عليه و يُكتفى بدلالة الحال، و تُترك النفس تذهب كُلَّ مذهب. ولهذاالقصد يؤثر في المواضع التي يُرادُ بها التعجب والتهويل على النفوس و منه قوله تعالى: ﴿وَلَوْتَرَىٰإِذْوُقِفُواعَلَى النَّارِ﴾، أي:لرأيْتَ أمرا فظيعًا، لا تكاد تحيط به العبارة﴿.

رعاية الفاصلة: أحيانا يحذف المفعول للرعاية على الفاصلة نحو قوله تعالى: ﴿مَاوَدَّعَكَرَبُّكَوَمَاقَلَى﴾، فحذف الضمير للخطاب رعايةً لبقية الفواصلفي السورة،إذ تقديره: ما ودّعَكَ ربُّكَ وما قلاكَ﴿، ولو ذكر الضمير لما رُعيت الفاصلة.

التخفيف: التخفيف أيضاً من أسباب الحذف لكثرة دورانه في الكلام نحو قوله تعالى حكاية عن عزيز مصر: ﴿يُوسُفُأَعْرِضْعَنْهَذَا﴿﴾، فحذف حرف النداء في الآية تقديره: يايوسف أعرض عن هذا﴿.

صيانة اللسان عنه تحقيراً: أحيانا يُحذَف ذكر المحذوف صيانة اللسان عنه تحقيراً وتنفيراً، إذا المتكلم لايحبُّ أن يذكر اسم المحذوف من لسانه وبذلك يظهر احتقاره لمن حذف اسمه كما قال الله تعالى: ﴿صُمٌّبُكْمٌعُمْيٌ﴿﴾، أي: هم أو المنافقون﴿.

تعيُّنه: وأحياناً يُحذف ذكر المحذوف لكونه مُعَيّناً للأغراض المختلفة ومنها:

أ - المتكلم يحذف ذكره في بعض الأحيان بكونه مُعَيّناً لغرضالإحترازعنسوءالأدب أو لكونه لايصلح إلآله مثل: ﴿فَعَّالٌلِمَايُرِيدُ﴾، و﴿ثُمَّتُرَدُّونَإِلَىعَالِمِالْغَيْبِوَالشَّهَادَةِ﴾.

ب- و أحيانا يُحذف ذكره لإدعاء التعيّن من المتكلم نحو قول قائل: "وهاب الألوف"، أي: السلطان أو آخره.

ج- وقد يحذف المسند إليه لضيق المقام عن إطالة الكلام أو فوات فرصة كقول الصيّاد غَزال، أي: هذا غَزالٌ.

د- أحيانا يحذفه المتكلم للإخفاء على غير المخاطبمن الحاضرين كقوله:جاء،أي: زيدٌ.

الإنكار عند الحاجة: المتكلم يحذف المبتداء لتيسُّره الإنكار لدى الحاجة نحو قول قائل:"فاجر، فاسق" عند قيام القرينة على أن مراده "زيدٌ" لِيمكن له لدى الحاجة أن يقولَ: ما أردتُ زيداً بل غيره.ولعل هذا الغرض ميزة كلام الناس دون كلام الخالق.

البيان بعد الإبهام: إذا وقع فعل المشيئة والإرادة شرطا فإن الجواب يدل عليه و يبيّنه، لكنّه إنما يُحذَفُ مالم يكن تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريباً، نحو قوله تعالى:﴿فَلَوْشَاءَلَهَدَاكُمْأَجْمَعِينَ﴾ إذ تقديره: لوشاءَ هدايتكم لهداكم أجمعين، فإنه لَمّا قيل لو شاءَ، علم السامع أن هناك شيئًا عُلقت المشيئةُ عليه لكنه مبهم فإذا جيء بجواب الشرط صارَ واضحا.

حذف المفعول تعميما واختصارا: وقد يحذف المفعول على جهة التعميم والاختصار ولو ذُكر بصيغة العموم لفات الاختصار كما في قوله تعال: ﴿وَاللَّهُيَدْعُوإِلَىدَارِالسَّلَامِ﴾، فحذف مفعول الدعاء في هذه الآية تعميما و اختصارا، تقديره: جميع عباده.

حذف المفعول لاستهجانه: أحيانا يحذف المفعول لإستهجان ذكره كما ورد في قول عائشة رضي الله عنها: {مارأيتُ منه ولا رأى مني} أي: العورة، فحذف مفعول الرؤية لكراهية ذكره ولاستهجانه.